خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/٠٢/٢٦

في مسجد بيت الفتوح بلندن

✡✡✡✡✡

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين).

كثير من الناس في العالم يقولون كثيرا من الأقوال لغوًا وبلا سبب، ويقول البعض للآخر على سبيل المزاح قولا لغوا يسبب النزاعات والمشاكل، وفي بعض الأحيان في المجالس تقال أشياء عديمة الجدوى ويكون الكلام فارغا محضا، وفي بعض الأحيان تخرج أقوال ساخرة تسيء للآخر، أو تكون أحاديث لاغية لا تجدي أحدا وتؤدي إلى مجرد ضياع الوقت. اللغو في اللغة يعني الحديث الفارغ وعديم الجدوى أو قولُ شيء دونما تفكير، وقولُ أقوال تافهة مثل أقوال المجانين. وقد نهى الله تعالى المؤمنين في القرآن الكريم عن قول اللغو. ولتوضيح هذا الحكم قد بيّن المصلح الموعود ﷺ مثالا كان يُبيِّنه المسيح الموعود عليه السلام، فقال: وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا. (الفرقان: ٧٣) قد وردت هنا علامة للمؤمن أنه لما يرى لغوا يمر به مرور الكرام، ولكن الآن للأسف تتوجه النساء إلى اللغو دوما (يذكر ﷺ هنا مثال النساء وإلا فوضع الرجال أيضا ليس مختلفا في هذه الأيام) مثلا تسأل بعضهن بعضا دونما سببٍ: بكم اشتريتِ هذه الثياب؟ وأين صنعتِ هذه الحلي؟ هذه الأشياء كلها تندرج تحت اللغو، وهي أحاديث الدنيويين فقط، ولا فائدة منها، بل هي تؤثّر في النساء المجاورات سلبا، يقول ﷺ: ما لم تستعلم المرأة القصة كلها لا ترتاح أبدا. كان المسيح الموعود عليه السلام يسرد قصة امرأة صنعت خاتما ولكن لم يتوجّه إليه أحد مع أنه كان خاتما ذهبيا وجميلا جدا، فاستاءت المرأة وحرقت بيتَها، فسألها الناس: هل بقي شيء من أثاث البيت؟ فقالت: لم يبق إلا هذا الخاتم، فقالت لها إحدى النساء: ما أجمل هذا الخاتم! متى صنعته يا أختي؟ فقالت: لو كنتِ سألتِ هذا السؤال من قبل لما احترق بيتي. يقول

المصلح الموعود ﷺ: إن هذه العادة لا تخص النساء فحسب بل توجد في الرجال أيضا، فهم أيضا يتبادلون الأحاديث بلا سبب في بعض الأحيان، ويبدأون يسألون بعد التحية: من أين أتيتَ؟ وإلى أين تذهب؟ وما راتبك؟ فما الداعي للخوض في أمور الآخرين الشخصية! ثم يضرب ﷺ مثال الإنجليز ويقول: إن الإنجليز لا يسألون بعضهم: أين توظفتَ؟ وما ثقافتك؟ وكم راتبك؟ فإنهم لا يحققون مع الآخرين. فاللغو لا يقتصر على ما يضر بالآخر فقط، بل كل قول غير مجدٍ يدخل في اللغو. يوضِّح المسيح الموعود ؑ هذا الموضوع في موضع كالتالي: اللغو هو صدور فعل لا يتضرر به أحد ولا يصيبه نقص بوجه خاص -أي لا يصيب أحدا نقص وضرر ملموسان- وهذا هو معنى اللغو. فيُشترط للمؤمن أن يكون كلامه هادفا ونزيها من جميع أنواع اللغو. ولكن لو درسنا الوضع لرأينا كثيرا من الناس يتحدثون بلا هدف.

والآن أقدم بعض الأمثلة ذات العبرة التي بينها المسيح الموعود ؑ في مناسبات مختلفة، والتي رواها المصلح الموعود ﷺ، فيقول ﷺ: كان المسيح الموعود ؑ يقول نكتة أنه مرّ أحد الكناسين بمدينة لاهور، وكان يسكن في قرية ويشتغل بحمل الأثقال أو بجمع الزبالة، فرأى أن العويل قد ارتفع في المدينة وثار الضجيج ويبكي كل واحد هندوسيا كان أم مسلما ورجلا كان أم مرأة، فسأل أحدا عن سبب ذلك، فقيل له: قد مات المِلك رنجيت سنغ. يقول المصلح الموعود ﷺ: وقد سمعتُ من المسيح الموعود ؑ أيضا أنه مع أن ملوكا سيئي السمعة جدا في جاءوا في عهد حُكم السيخ إلا أنه مما لاشك فيه أن الأمن ساد في عهد الملك رنجيت سنغ، الذي كان قد قضى على الفساد إلى حدٍّ كبير، أما أحداثُ ظلم السيخ للمسلمين التي تُبيَّن عادةً فهي متعلقة بزمن كانت الحكومة فيه منقسمة إلى طوائف صغيرة وكان القتل والنهب مستشرَين وكانت الفوضى عامّة. أما الملك رنجيت سنغ فكان يسعى دوما لإرساء الأمن وكان يعامل المسلمين أيضا بسلوك حسن إلى حد ما. ويقول المصلح الموعود ﷺ إن جدّنا -أي والد المسيح الموعود ؑ- أيضا كان من قادة جيش هذا الملك، وكذلك كان عديد من المسلمين الآخرين أيضا يحتلون مناصب كبيرة في عهد حكمه، فنظرا إلى الأمن الذي ساد في البلد بواسطته وبتذكُّر الفساد الذي كان مستشريا قبله كان الجميع حزينين لموته وكان الناس يبكون، فسأل الكناس عن سبب ذلك العويل، فقال له أحد الناس: قد مات الملك رنجيت سنغ، فنظر الكناس إلى وجه ذلك الشخص مستغربا وقال: لماذا يضطرب الناس لموته، قد مات أبي فما قيمة الملك رنجيت سنغ؟

بعد سرد هذه النكتة كان المسيح الموعود عليه السلام يقول: ما يقدّره الإنسان يكون عظيما في نظره، فكان أبو هذا الكناس يحسن إليه لذا كان يحبه، أما الملك رنجيت سنغ فمع أنه أحسن إلى مئات الآلاف إلا أنّ الكناس لم يكن من بين مئات الآلاف هؤلاء، كما لم يكن نظره واسعا لدرجة يتمكن من فهم مصلحة البلد وقيمة الأمن والسلام، وأنه لا حقيقة للمصلحة الشخصية مقابله، لذا كان يظن أن الشخص المهم الذي يستحق التقدير فعلا هو والده، ولما مات هو فما قيمة موت الملك رنجيت سنغ بعده! فالأشياء الصغيرة تكون عظيمة لدى المرء نظرا لمدى حاجته لها، ويهمل بعض الأشياء العظيمة لنقص في علمه، فلو أُعطيتْ للولد الصغير أغلى ماسة فما أهميتها لديه؟ فيجب على المؤمن أن يسعى لتحقيق قدره بتصرفاته وبسلوكه وبمساعدته الآخرين وبإحسانه إليهم، ولا يكون قدره مقتصرا على أقاربه الذين يبكون على وفاته بل يكون قدره حيثما أقام وفي المجتمع الذي يقيم فيه، ولكل دائرته، فينبغي ألا يقتصر حسن سمعة الأحمدي على شخصه وألا يُفيد نفسه فقط، بل ينبغي أن يكون سببا لحسن سمعة الجماعة، وأن يفتح سبل التبليغ أيضا. فإذا كان الأحمدي مؤثّرا في الآخرين فسيعلم العالم حقيقة الإسلام، وأن تعليم الإسلام وحده قادر على إرساء الأمن الحقيقي في العالم في العصر الراهن، والعالم يجهل هذه الحقيقة، فلا بد لكل واحد منا أن يسعى في دائرته لإعلام العالم بهذه الحقيقة.

يظن بعض الناس أننا بتضحيتنا البسيطة قد أنجزنا مهمة عظيمة، أو يكون هناك من لا يضحي بشيء ويعتبر نفسه من المضحّين أو من المحسنين على الآخرين، كان المسيح الموعود عليه السلام يُبين حادثةً عن مثل هؤلاء الناس وهو أن رجلا دعا شخصا إلى طعام، ولم يقصّر بحسب سعته في استضافته، ولما أراد الضيف أن يغادر اعتذر المضيف قائلا: إنني لم أستطع أن أخدمك كما ينبغي لأن امرأتي كانت مريضة وكانت عندي بعض المشاكل الأخرى أيضا، فأرجو أن تعذرني. فلما سمع الضيف كلامه قال: إنني أعلم غاية كلامك هذا، إنما تريد أن أمدحك وأقرّ بمنتك. هذه أفكار الضيف، وقال أيضا: ولكن لا ترجو مني ذلك، بل يجب أن تكون ممتنًّا لي، فقال المضيف بتواضع: لم أقصد إظهار أية منة بل إنني بالفعل نادم على أنني لم أستطع أن أخدمك على وجه كامل، وإن كان لك أي منة عليَّ فأرجو أن تخبرني وسأشكرك على ذلك. فقال الضيف: مهما تقول فإنني أعلم بمراد قلبك جيدا -أصبح يعلم حالة قلوب الآخرين أيضا- وقال الضيف أيضا: تذكّر! ما الذي فعلته أكثر من أنك أطعمتني طعاما، ولكنّ منّتي عليك أكبر من ذلك، فانظر إلى غرفتك التي أجلستني فيها، ففي هذه الغرفة أغراض تُقدر بآلاف الروبيات، وعندما دخلتَ بيتك لتأتي بالطعام كان بإمكاني أن أحرق كل شيء بإشعال عود من الكبريت. أخبرني لو كنتُ أشعلت النار فهل كان شيء

بقي في الغرفة؟ ولكنني لم أفعل ذلك، فهل مني هذه صغيرة؟ لما سمع صاحب البيت هذا الكلام قال: إنك بالفعل مننتَ علي بمنّة عظيمة وأشكرك على أنك لم تحرق بيتي. لاحظوا! يكون بعض الناس من نوع بدلا من أن يقرّ بإحسان المحسن ويشكره يظن أنه هو المحسن. فيجب على المؤمن أن يكون شاكرا لمحسنه على وجه الحقيقة وليس ناكرا له كهذا الشخص.

أدلى المصلح الموعود رضي الله عنه ببعض النصائح للمربّين وذكر مثالاً قد كان المسيح الموعود عليه السلام يبيّنه، فيقول رضي الله عنه: كان المسيح الموعود عليه السلام يقول كان هناك ملك يتبع شيخا، وكان يوصي وزيره دوما بأن يقابل شيخه، ولأن الوزير كان يعرف حقيقة ذلك الشيخ فكان يسوّف في الأمر، وأخيرا ذهب الملك ذات يوم إلى ذلك الشيخ وأخذ معه وزيره أيضا، فقال الشيخ مخاطبا الملك: جلالة الملك، إن خدمة الدين لشيء عظيم، فلقد خدم الملك الإسكندر دين الإسلام فلا يزال ذائع الصيت إلى الآن.

وقد ذكرتُ هذه القصة في مناسبة أخرى أيضا- فقال الوزير سيدي، إن الإسكندر المقدوني الذي يتحدث عنه صاحبك هذا كان قبل الإسلام، فيبدو أنه، بالإضافة إلى ادعائه بولاية الله، ملمّ بالتاريخ أيضا جيدا بل يكتب تاريخا جديدا! فتبرأَ الملك من ذلك الولي الزائف. كان المسيح الموعود عليه السلام يحكي هذه القصة ويقول لابد من الإلمام بعلوم أهل كل مجلس وإلا يصبح المرء حقيرا في أعين القوم. كذلك لا بد من مراعاة آداب كل مجلس، فمثلاً لو كان أهل مجلس يتشاورون فيما بينهم فيذهب عالم كبير إلى مجلسهم ويستلقي أمامهم، فلن يبالي أحد بعلومه بل سوف يترك فيهم انطباعا سيئا.

لذا فيجب على الداعية المربي أن يكون ملمًا بعلوم كل مجلس يذهب إليه. يجب أن يكون عنده إلمام بعلوم الجغرافيا والتاريخ والحساب والطب وبآداب الكلام وآداب كل مجلس بقدر ما يليق بالشرفاء، وهذا ليس صعبًا، بل ممكن تماما ببذل قليل من الجهد، وذلك بقراءة الكتب الأساسية لكل علم.

ثم إن دعاتنا يُسألون في هذه الأيام أسئلة حول قضايا الساعة، ولكن مَن لا يقرأ الجرائد منهم أو لا يستمع للأخبار بانتظام فإنه يجهل هذه القضايا أو لا يكون لديه معرفة عميقة بها، فيأخذ أهل الدنيا انطباعًا سيئا عنه في بعض الأحيان، وتصلني مثل هذه الشكاوى من بعض الأماكن. لذا يجب أن يكون دعاتنا مطلعين على قضايا الساعة وكذلك ملمين بعلوم وآداب كل مجلس يزورونه.

كان المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يضرب مثالاً بأنه كان لرجل ابنان، فقسم بينهما أمواله، فأخذ ابنه الأصغر نصيبه وذهب إلى مكان بعيد، وأضاع المال كله في ارتكاب المنكرات. وأخيرا بدأ يعمل أجيرا عند راعي غنم. ثم فكر ذات يوم أنه يعمل عند أبيه عمال كثيرون ويأكلون عنده ملء بطونهم، ولكني أموت هنا جوعًا رغم

العمل بأجرة، فالأفضل أن أرجع إلى أبي وأسأله أن يضمني إلى مَن عنده مِن العمال. فرجع إلى أبيه، ففرح الأب برؤيته وعانقه وقال لخدمه اذبحوا عجلا سمينا لنأكل لحمه ونفرح. فلما وصل الابن الآخر والذي آتاه الأب نصيبه من المال والذي كان يدير عمله على ما يرام، استاء مما رأى وقال في نفسه إن أخي قد رجع بعد إهدار أمواله كلها ولكن أبي يبدي له كل هذا الاهتمام والحفاوة!؟ ثم قال لأبيه لقد خدمتُك كل هذه السنوات و لم أعصِ لك أمرًا، ومع ذلك لم تذبح من أجلي خروفا فرحًا بي مع أصدقائك، ولكن لما جاءك ابنك هذا الذي أهدر أموالك منغمسا في الملذات ذبحت عجلاً سمينا فرحًا بمجيئه. فقال الأب إنك تعيش معي دائما، وكل ما أملكه هو لك، وقد احتفلت بمجيء أخيك لأنه كان ميتا فعاد إلى الحياة، وكان مفقودا فوجدته اليوم.

فالذي يرتكب معصية، ثم يتوب إلى الله تعالى وينيب إليه ويتندم أمامه معترفًا بذنبه فإن الله تعالى يقبل توبته يقينًا ويترحم عليه أكثر من ذي قبل. لذا فكما أن المؤمن يحب لنفسه أن يعامله الله تعالى برحمته، كذلك يجب أن يتخلق بأخلاق الله وصفاته، فإذا ارتكب بعض إخوانه خطأ في حقه ثم جاءه مستعطفًا ومعترفًا بخطئه بصدق القلب، فعليه أن يصفح عنه، كما يجب عليه أن يدعو الله تعالى ليغفر له، أما الذين لا يطلبون العفو على أخطائهم فعلى المؤمن أن يسأل الله تعالى أن يعفو عنهم وعنه أيضا. يجب أن يكون سلوك المؤمن قويا في كل الظروف، وليس أن يميل إلى اليمين مرة وإلى الشمال أخرى.

كان المسيح الموعود عليه السلام يحكي قصة، وقد سمعها الكثيرون، وهي أن أحد الملوك أكل الباذنجان مرة واستمتع به، ولما جاء إلى البلاط أشاد بالباذنجان. وكان له صاحبٌ فبدأ هو الآخر يمدح الباذنجان قائلا: ما أجمل شكلَه! بالإضافة إلى مزايا أخرى، فرأسُه يشبه رأس شيخ قد لفَّه بعمامة خضراء، ولباسه أزرق يُخجل زرقة السماء، وحين نراه متدليا على نبتته فيخيل إلينا وكأن أميرا يتأرجح في أرجوحة، وذكر له مدائح أخرى كثيرة. ثم عدَّد محاسنه وفوائده الطبية. فإثرَ سماع ذلك كله أُعجب الملك به وبدأ يأكل كل يوم باذنجان فقط، فلما كان تأثير الباذنجان حارا أو حاميا بدأ يعاني من الحرارة. فقال ذات يوم: إن الباذنجان سيئ جدا. فبدأ ذلك الصاحب نفسُه يعيب الباذنجان قائلا: انظروا ما أشدَّ سواد وجهه، وقدماه زرقاوان، وما الذي يمكن أن يقال في بيان مساوئه أكثر من أنه معلق مقلوبا وكأن أحدا علقه على مِشنقة. يقول المصلح الموعود ﷺ: بما أن لكل شيء محاسن ومساوئ فقد بيَّن ذلك الصاحب جميع المساوئ أو العيوب الطبية، فقال له أحد الحضور ما هذا الأمر؟ بالأمس كنت تكيل له المدائح الكثيرة واليوم تعيبه! يجب أن تتمسك بالصدق على الأقل. فقال: أنا خادم الراجا ولست خادما للباذنجان.

هذا ما نراه عادة في العالم الإسلامي المعاصر وينبغي أن نتلقى الدرس منهم، إذ يجب أن يكون سلوك المسلمين وأعمالهم أفضل وأقوى من غيرهم، لكن سلوكهم بشقاوتهم أكثر انحطاطا من غيرهم، ويستحيل أن يتمسكوا بالصدق، وإنما على عكس ذلك حيثما يتملقهم أحد ويجدون مصالح شخصية يميلون إليه، سواء كانوا قادةً أو عامة

المسلمين. فمن مقتضى التمسك بالصدق أن يتخذوا الرأي واضعين أمامهم الخاطئ والصحيح ثم يقدموا المشورة الصحيحة.

أقدم لكم حادثا آخر في بيان إنشاء العلاقة بالله تعالى. ففي إنشاء العلاقة بالله ﷻ تكمن في الحقيقة حلولٌ للمسائل، وهذه العلاقة تتقوى بالتقوى. ثم نحن الأحمديون الذين يدَّعون أنهم بعد الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام يعيشون بحسب التعليم الإسلامي، علينا أن ننظر إلى الله ﷻ في كل حال لقضاء الحياة بحسب ذلك، وننشيء العلاقة به وحده. فلن نحرز النجاح بالأمور المادية. بل يمكن أن نحرز النجاحات بالتحلي بالتقوى وخشية الله فقط، وعندها ستمهِّد الملائكة طريقنا على الدوام. إن شاء الله.

فليعلم كل واحد منا أن عليه أن يسعى للتحلي بالتقوى، وينشئ العلاقة بالله تعالى. فمن الملاحظ في الأمور الكثيرة أن علاقة المرء المادي برجل مادي آخر تفيده. فمن المؤكد أن علاقة المرء بالله ﷻ تنفعه أكثر من ذلك بملايين المرات. في هذا الصدد كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يسرد قصة، أن شخصا- عند خروجه في سفر- أودع ماله أمانةً عند قاض. وبعد مدة طويلة حين عاد من السفر وطلب من القاضي أمانته فسدت نية القاضي فقال له: يا صاحبي، تعقَّل، فمتى أودعتَ عندي الدراهم. إذ لم يكن قد كتب شيئا حيث كان واثقا بشخص القاضي. لكن القاضي طلب منه إثباتا، أو إيصالا، أو شاهدا، فذكَّره كثيرا لكن القاضي ظل يستنكر قائلا: قد فقدتَ صوابك إذ لم تودع عندي أمانة قط. وأخيرا اشتكاه الرجل عند الملك، فقال له: من ناحية الإنصاف وبحسب قوانين المحكمة لا أستطيع أن أساعدك بل سأضطر لأصدر القرار ضدك إذ ليس عندك أي شيء مكتوب، ولا إثبات ولا شاهد. إنما أدلّك على تدبير يمكن أن تنتفع منه إذا كنت صادقا، وهو أني سأخرج في ركْب يوم كذا للجولة في المدينة وسيكون القاضي موجودا أمام حجرته، ويجب أن تقف بالقرب من القاضي، وعندما أصل إليك سأتكلم معك دون أي تكلف وأقول لك: لماذا لم تزُرني منذ مدة طويلة؟ ويمكن أن تقول لي ردًّا على ذلك: كانت عندي بعض المشاكل، لذا لم أستطع الحضور عندك. فوافق على الاقتراح ويوم الجولة وقف بجانب القاضي. فلما وصل الملك إلى هناك وجَّه الكلام إلى ذلك الرجل بدلا من القاضي، وقال له: أين غبتَ؟ لم لم تزرني منذ مدة طويلة؟ فقال له إني كنت مسافرا، وقال له الملك: لم تأتني للزيارة حتى بعد العودة من السفر؟ فقال: كانت عندي بعض المشاكل وكان عليَّ استرداد الأمانات من بعض الناس أيضا. فقال له الملك: مهما كانت كثرت مشاغلك كان يجب أن تأتيني للزيارة. الآن يجب أن تزورني على فترات متقاربة. فلما مضى الركب الملكي من هنالك نادى القاضي ذلك الرجلَ وقال له: لقد أتيتَني قبل بضعة أيام وذكرتَ لي أمانة لك عندي، فقد أصبحتُ شيخا ولا تسعفني الذاكرة، أرجو أن تذكر لي بعض العلامات حتى أتذكر. فكرر الرجل نفس الكلام الذي كلَّمه به سابقا. عندها قال له القاضي: حسنا كانت لك صرةٌ من نوع كذا، فهي موجودة عندي، أرجو أن تأخذها، ثم أحضرَها وسلَّمها له. فكان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بعد سرد هذه القصة يقول: لا

يجوز الخوف من معارضة أهل الدنيا إذ إنّ أكبر ضابط لا يمكن أن يلحق بكم الضرر إلا بسيوفه وطلقاته إلى أقصى حد، لكن كل هذه الأشياء ملكٌ لربنا، وإذا أمَرَها أن لا تصيب فلانا فمن ذا الذي يمكن أن يهاجمه؟ إذن يجب على المرء أن يصادق اللهَ ويحبه. فالخوف والقتال وغير ذلك من الأمور لا تفيد شيئا، إنما طريق التقدم أن يسلِّم المرء نفسَه لله ﷻ ويسير حيث يسيِّره الله ﷻ.

كان سيدنا المسيح الموعود ؑ يقول: إن مَثل المؤمن الصادق كمثل الصديق المخلص، وكان يذكر قصة، أنه كان هناك رجلٌ ثري ولابنه أصدقاء أوباش فنصح ابنه قائلا: إن هؤلاء ليسوا أصدقاء مخلصين لك، إنما يأتون إليك طمعا في المال، وليس فيهم أي وفيٌّ لك. فقال الولد لأبيه: يبدو أنه لم يتيسر لك أي صديق وفيٌّ، لذا تقول هذا الكلام بحق الجميع. إن أصدقائي ليسوا من هذا القبيل، وهم أوفياء لي ومستعدّون ليجودوا بحياتهم من أجلي. لكن والده نصحه مرة أخرى وقال يتعذر العثور على الخلّ الوفي، فقد وجدت في حياتي كلها صديقا وفيا وحيدا. لكن ابنه ظل متمسكا برأيه. وبعد مدة قصيرة حين طلب من أبيه مالا قال له أبوه: لا أستطيع أن أتحمل نفقاتك، فاطلبْ من أصدقائك، فليس عندي شيء أعطيكه. في الحقيقة كان والده يريد أن يهيئ له الفرصة لاختبار أصدقائه، فلما رفض أن يعطي ابنه شيئا وعلم بذلك أصدقاؤه أيضا، انقطعوا عنه ولم يأت أحد إليه لزيارته. وأخيرا توجه هو شخصيا إلى بيت كل واحد متضايقا، وكلما طرق بيت أحد أرسل صديقه الرسالة من الداخل أنه غير موجود في البيت أو هو مريض ولا يستطيع أن يستقبله. فتجوَّل طول اليوم ولم يخرج أيٌّ من أصدقائه إلى الباب، فلما عاد إلى البيت مساء، سأله الوالد كيف ساعده أصدقاؤه. فقال: كلهم وقحون إذ قدموا كلهم أعذارا شتى. فقال له الوالد: ألم أقل لك إنهم ليسوا مخلصين لك. فحسنٌ أنك جربتهم شخصيا. الآن تعال معي آخذك إلى زيارة صديقي، ثم أخذه إلى مكان قريب حيث كان يقيم صديقه وكان شرطيا يعمل في مخفر الشرطة. فلما وصل الوالد والولد إلى بيته طرق الوالد بيته، فقال صديقه من الداخل: لحظاتٍ أخرج إليك. لكنه تأخر كثيرا ولم يفتح الباب أحدٌ، فساور الولدَ وساوس شتى، فقال لوالده يا أبي يبدو أن صديقك أيضا مثل أصدقائي. فقال له الوالد: على مهلك، وبعد قليل فتح الصديق باب بيته وكان قد تقلَّد سيفه في عنقه وفي إحدى يديه صرة من النقود، ويمسك بيده الأخرى يد زوجته. فاعتذر فورا على عدم خروجه بسرعة، ثم برر تأخره قائلا: حين طرقتَ الباب تأكدتُ أن هناك خطْبًا جللا إذ قد أتيتَ بنفسك، وإلا كان يمكن أن ترسل أي خادم. فأردت أن أفتح الباب فخطر ببالي، ربما حلت بك مصيبةٌ، وكانت عندي هذه الأشياء الثلاثة، ففي هذه الصرة ما وفرتُه على مدى سنة وهي بضع مائة روبية، وزوجتي حاضرة للخدمة فقد تكون زوجتك في مشكلة، وإن ما أخَّرني عن الخروج هو أني كنت دفنت هذه الصرة تحت الأرض، لذا تأخرت في استخراجها. ثم فكرتُ أنه قد تكون في مشكلة تستدعي بذل الروح، لذا حملت سيفي وقلت في نفسي إذا اقتضى الأمر يمكن أن أضحي بحياتي. ثم خطر ببالي أنه مع أنك ثري لكنه من المحتمل أن يكون مالُك قد ضاع إثر آفة،

وقلت في نفسي يمكن أن أساعدك بمال، لذا أخذت معي هذه الصرة. ثم خطر ببالي أن الأمراض تلازم الإنسان دوما فقد تكون زوجتك تعاني مشكلة صحية، لذا اصطحبت زوجتي لتخدمها. فقال له ذلك الثريُّ: يا حبيبي، لست بحاجة إلى أي مساعدة ولم تحلّ بي أي مصيبة، وإنما أتيت لأعلِّم ابني درسًا.

كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يقول: هذه هي الصداقة الحقة، وفوق ذلك يجب على الإنسان أن يتخذ الله صديقا له، حيث يجب أن يبقى مستعدا ليضحي بحياته وماله وبكل ما يملك من أجله سبحانه وتعالى.

كما أن الصديق يذعن تارة لطلب صديقه ويريد تارة أخرى أن يذعن صديقُه لطلبه هو، كذلك من واجب الإنسان أن يستمر في تقديم التضحيات في سبيل الله بصدق القلب وبصدر منشرح. كم من رغباتنا يحققها الله تعالى! نستفيد من نِعم الله علينا ليل نهارَ، ونستخدم أشياء خلقها الله لإراحتنا وإسعادنا. فبأيّ حق نستفيد من هذه الأشياء؟ معلوم أن الله تعالى يحقق مراداتنا قاطبة، ثم إذا حدث مرة أو مرتين على عكس مبتغانا يسيء الناس الظن بالله تعالى! إن حقيقة العلاقة المخلصة هي أن تبقى قائمة في حالة العسر واليُسر ولا يحدث فيها أي خلل.

فالذين لا يؤدون حق الصلاة عليهم أن يحاسبوا أنفسهم، والذين لا يوفون بعهدهم بتقديم الدين على الدنيا عليهم أن يحاسبوا أنفسهم. الذين جاءوا إلى هنا ببركة الأحمدية وعندما وصلوا إلى هنا نسوا أنهم نالوا حق الإقامة هنا بسبب الجماعة الأحمدية، عليهم أن يتقدموا في مجال خدمة الجماعة أكثر، ولكنّ كثيرا منهم ينسون ذلك، بل يشرعون في إثارة الاعتراضات. فهؤلاء الناس ليسوا عابدين جيدين ولا مخلصين، لأن الإخلاص والوفاء يجب أن يكون على مستوى أعلى في كل الأحوال، في العسر واليسر كما قال المسيح الموعود عليه السلام. يجب على الإنسان أن يكون مستعدا دائما للتضحية في سبيل الله وعلى عتباته. لقد ذكرتُ آنفا أشخاصا كانوا يؤدون حقوق الله وحقوق عباد الله، فقد ذكر المصلح الموعود عليه السلام كيفية انطباق ذلك بكلمات جميلة وممتعة جدا، أي عندما يحب المرء أحدا لا يسأل عن الأدلة بل يعلن طاعته أولا ثم يفكر في كيفية العمل بأوامره. هذه تكون كيفية الأنبياء أي عندنا ينـــزل أمر الله الأولُ ينشأ حبه في قلوبهم لدرجة لا يسألون عن الأدلة، ثم عندما يتناهى صوت الله إلى قلوبهم لا يقولون: هل تسخر منا يا ربنا، أين نحن من إنجاز هذا الأمر؟ بل يقولون: لبيك يا ربنا، ويقومون لتنفيذ أمره ملبين دعوته عز وجل ويفكرون فيما بعد في كيفية العمل به. هذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما فعله المسيح الموعود عليه السلام في الليلة التي أمره الله تعالى فيها أن ينهض لهداية العالم، فنهض فورا، ثم بدأ يفكّر كيف يمكنه أن ينجز تلك المهمة.

الليلة التاريخية التي حلّت قبل خمسين عاما من اليوم (يعود هذا الكلام حين قاله المصلح الموعود رضي الله عنه إلى ١٢٥ عاما تقريبا بل ١٢٦-١٢٧ عاما) والتي كان مقدرا لها أن تكون وسيلة عظيمة للحكم فيما يمكن أن يختاره العالم للمستقبل، والتي كان من المقدر أن تُعَدّ أول ليلة أو أول نهار للعالم الذي كان سيأتي إلى حيّز الوجود في المستقبل، فلو تأملنا في مشهد تلك الليلة لرأينا تلك السعادة من منظور آخر تماما. كم منا يفكّرون: أية ساعة تلك التي نالوا

هذه السعادة بسببها؟ (أي هل فكّر الذين بايعوا المسيح الموعود نتيجة أية لحظة نالوا هذه الفرحة؟) وبعد أية ليلة طلع عليهم نهار النجاح والفوز؟ لقد مات الكثيرون منتظرين المسيح الموعود عليه السلام، أما الذين آمنوا به فهم يفكرون أنه قد طلع عليهم نهار هذه الفرحة والسعادة والنجاح والفوز نتيجة الساعة والليلة التي قام فيها شخص وحيد كان محتقرا في أعين الناس وكان محروما من الأسباب الدنيوية كلها، فأمره الله تعالى أن ينهض ويقوم لهداية العالم، فقال: لقد قمتُ يا ربي. هذا كان الإخلاص وإظهار الحب الحقيقي الذي قبِله الله تعالى، فأكرمه وأنزل عليه بفضله ورحمته.

البكاء والضحك مما لا يليق بالله، فالله تعالى لا يبكي ولا يضحك، ولكن مثل هذه الكلمات تُستخدَم أثناء الحديث والكلام عن الحب على أية حال، كما ورد في الحديث أن صحابيا استضاف ضيفا وضحك الله على تصرفه.

يتابع المصلح الموعود رضي الله عنه ويقول: أقول، لو كان البكاء والضحك ممكنا لله تعالى لضحك عز وجل أو بكى حتما حين أمر المسيحَ الموعود عليه السلام أنني أقيمك لإصلاح العالم فقام عليه السلام فورا دون أن يفكر كيف يمكنه إنجاز تلك المهمة. أعرف يقينا أنه لو كان الضحك أو البكاء ممكنا لله لضحك سبحانه وتعالى أو بكى حتما، ولَكان ضحكُه على ادعاء ساذج في الظاهر قام به شخص ضعيف وعديم الحيلة مقابل العالم كله، ولكان بكاؤه عز وجل على عاطفة حبٍّ أبداها لله تعالى ذلك الشخص الوحيد. هذه كانت صداقة حقيقية أحبها الله تعالى، وهذا النوع من الصداقة الحقيقية هي التي تفيد في أمور الدنيا أيضا.

ثم روى المصلح الموعود رضي الله عنه حادثا عن صديقَين أحدهما فقير والآخر غني. ثم قال بأن هذه الصداقة مَثَلٌ أعلى في نظر الناس ولا يسع الإنسان إلا أن يشعر في نفسه هياجا شديدا بالنظر إلى العواطف من هذا النوع. ولكن هذ النوع من الصداقة ليس شيئا يُذكر مقابل الصداقة التي يبديها الأنبياء تجاه ربهم إذ يواجهون المصائب عند كل خطوة في هذا السبيل ثم يقدمون التضحيات في كل خطوة. إذًا، إن مَثل جواب الأنبياء أمام الله كمَثَل جواب ذلك الشخص الفقير أمام الغني، بل أعلى من جوابه. لا شك أنه لو نظرنا إلى جواب ذلك الفقير وتأملنا فيه عقلا ومنطقا فيبدو تصرفه مضحكا، لأن الغني كان له آلاف الخدام فأية خدمة كان ممكنا أن تقوم بها زوجته في حال وجود الخدام؟ كذلك كان الرجل يملك أموالا تقدَّر بمئات الآلاف فماذا كانت ستنفعه صرة ذات مئة وخمسين روبية؟ وكان له عديد من الحراس فما كان سينفعه سيف صديقه؟ ولكنه لم يفكر في حماس الحب أن سيفه لن يكون ذا فائدة لصديقه، ولم يفكر ماذا عسى أن تنفعه نقوده القليلة، وأية خدمة يمكن أن تؤديها زوجته؟ لم يفكّر في شيء إلا أن يقدّم كل ما عنده. فعندما يثور الحب بشدة لا يتعطل العقل عن العمل، بل الحبُ يطرد العقلَ بعيدا ويطرد الفكرَ بعيدا ويحل محلهما بنفسه، كما أن الدجاجة تجمع أفراخها تحت أجنحتها وتخفيها عندما يهاجمها النسر. في بعض الأحيان يدفع الحبُ المرءَ إلى القيام بتصرفات يحسبها الناس ناتجة عن الجنون، ولكن الحقيقة أن ذلك الجنون يكون أغلى وأثمن من

عقول العالم كله، ويمكن أن تُضحّى بعقول العالم كلها على تصرف جنوني واحد من هذا القبيل، لأن العقل الحقيقي هو الذي ينشأ من الحب.

الجدير بالذكر أن العقل الحقيقي هو الذي يتولد من الحب. عندما يتناهى إلى النبي صوت أن الإله- خالق السماوات والأرض وخالق العزة والشوكة، والقادر على جعْل الملوك متسوّلين والمتسوّلين ملوكا، والإلهُ القادر على إقامة الحكومات ومحوها، والقادر على إعطاء الثروات وسلبها، والقادر على إعطاء الرزق واستعادته، والإله الذي يملك كل ذرة من ذرات العالم- ينادي عبدا ضعيفا وعديم الحيلة ويقول بأني محتاج إلى المساعدة فساعِدْني، ثم لا يستخدم العبد الضعيف وعديم الحيلة عقله ولا يقول: ماذا تقول يا سيدي؟ هل أنت محتاج إلى المساعدة، وأنت مالك السماوات والأرضين؟ أنّى لي أنا الفقير المُعدَم والضعيف وعديم الحيلة أن أساعدك؟ فهذا العبد لا يقول ذلك، بل ينهض مع جسمه الضعيف والنحيف الهزيل ويقول: لبيك لبيك لبيك. فمن ذا الذي يستطيع أن يقدّر عمق هذه العواطف إلا من أُعطي نصيبا من الحب قليلا أو كثيرا؟

يقول رضي الله عنه بأن الإله نفسه قد رفع هذا الصوت قبل خمسين عاما (نظرا إلى ذلك الوقت وقبل ١٢٦ عاما من اليوم) وقال لشخص ساكن في زاوية الخمول في قاديان بأني بحاجة إلى المساعدة وقد أُهِنتُ كثيرا في العالم و لم تعُد لي فيه عزة ولا كرامة، وليس فيه من يناديني، ولا نصير لي ولا معين، فساعِدني يا عبدي. فلم يفكّر هذا العبد مَن القائل ومَن المخاطِب ومَن المخاطَب، و لم يقترح عليه عقله أن المنادي يملك القوة كلها فماذا عساني أن أساعده به؟ بل حبُّه قد أشعل في قلبه نارا فقام بحماس شديد مع أنه لا يملك شيئا وقال: لبيك يا ربي لبيك يا ربي، سأنقذ الدين وأحميه من الدمار.

إذًا، نحن الذين ندّعي الإيمان بشخص فانٍ في حب الله تعالى الذي قام عاقدا العزم على نشر رسالة الله تعالى، وندّعي بأننا بايعنا خادما صادقا لنبينا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، إن كنا ندرك أن بمجيء المسيح الموعود عليه السلام قد تحقق وعد الله تعالى وتحققت نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخل الإسلام في مرحلة نشأته الثانية وسيصل إلى كافة أنحاء العالم بواسطة المسيح الموعود عليه السلام، وإن كنا قد عاهدنا المسيح الموعود عليه السلام أننا سنساعده في مهمته هذه فعلينا أن نتقدم في هذا المجال باذلين كافة موهلاتنا، قليلة كانت أم كثيرة، وملبين دعوته عليه السلام، وعلينا أن نظهر حُبّنا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولمسيحه عليه السلام. علينا أن نُحْدث في أنفسنا تغييرات طيبة ونرفع معايير إخلاصنا، وأن نكون مستعدين لتقديم كل نوع من التضحية كما استعد ذلك الشخص الفقير من أجل صديقه الغني. ندعو الله تعالى أن يوفقنا جميعا لذلك.